

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة العاشرة

البيان العلمي للعقيدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

أيها الإخوة والأخوات مرحباً بكم في محاضرتنا العاشرة والأخيرة من المحاضرات التي تدور أبحاثها حول مسألة العقيدة الإسلامية، تكلمنا في محاضرتنا الأخيرة عن الثمرة التي ينبغي أن تحققها العقيدة الإسلامية في كيان الإنسان، وقلنا: إن هذه الثمرة تتمثل في أن يعلم الإنسان هويته عبداً لله عز وجل ويعلم أنه يعيش في مملكة الله سبحانه وتعالى وأن الله هو القيوم عليه، وأن الحاكمية في الأرض وفي الكون كله لله سبحانه وتعالى فيخضع لحكمه ويخضع لنظامه، تلك هي ثمرة الإيمان بالله عز وجل، وعرضنا لمشكلتين يطرحهما بعض الناس المشكلة الأولى هي القول بأن الله عز وجل إنما شرع لعباده الغايات أن يعدلوا ولا يظلموا وأن يتحابوا ولا يتباغضوا، أما الوسائل فللناس أن يتخذوا من الوسائل إلى هذه الغايات ما يشاؤون. وقلنا إن هذا التصور وهم وباطل بل هو تلاعب بالمنطق والحقيقة، وقلنا: إن الله عز وجل قد تعبد عباده جميعاً بالوسائل والغايات معاً فالله سبحانه وتعالى ما شرع الغايات إلا بما شرع من وسائل لها ثم عرضنا لاعتذار آخر عن تطبيق الشريعة الإسلامية، هذا الاعتذار هو قول بعض الناس ومع الأسف كثيراً ما نسمعه من المسلمين من مسلمين تقليديين طبعاً، هذه المعذرة هي القول بأن الشريعة الإسلامية أثبت التاريخ أنها غير صالحة للتطبيق إذ هي لم تطبق إلا في أواخر عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عصور الخلفاء الراشدين، ثم إن أحكام الشريعة الإسلامية طويت وتآبت على التطبيق والتنفيذ خلال القرون التي تلت ذلك إلى يومنا هذا فهذا أكبر دليل على أن الشريعة الإسلامية غير صالحة للتطبيق، وانتهى بنا الكلام عند عرض هذا الاعتذار فما الجواب عنه أيها الإخوة؟

نحن نجيب عن هذا بجوابين اثنين: الأول: نقد تصور أن الشريعة الإسلامية لم تطبق إلا في عصور الخلفاء الراشدين، هذا كلام باطل وكذب على التاريخ ولكن لكي نعلم أن هذا كذب على التاريخ،

لا بد أن نتساءل ما معنى تطبيق المجتمع الإسلامي للشريعة الإسلامية؟ ما معنى تطبيق مجتمع من المجتمعات للشريعة الإسلامية؟ هل معنى ذلك أن يغدو الناس كلهم معصومين من الآثام والذنوب؟ إذا كان فينا من يتصور أن تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع يجعل من بني آدم معصومين فهذا التصور خطأ كبير في فهم معنى الشريعة الإسلامية وكيفية تطبيقها.

الشريعة الإسلامية تطبق بأن تكون بيوتنا مصبوغة بالصبغة الإسلامية في أعم الأحوال وأن يكون مجتمعنا مصبوغاً بالصبغة الإسلامية فمن مشى في سوق عرف أنه يمشي في سوق بلد مسلم وأن تكون المرافق العامة مصبوغة بالصبغة الإسلامية فمن غشي أحد هذه المرافق علم بما يرى أنه في بلد إسلامي وأن تكون قوانينه وأنظمتها المعمول بها إسلامية، هذا هو معنى تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع، وإذا عرفنا أن هذا هو معنى تطبيق الشريعة الإسلامية فسوف نعلم بدقة أنه لا علاقة بتطبيق الإسلام شرعة ومنهاجاً مع لا علاقة بين هذا وبين ما قد يرتكبه الناس من أخطاء وينزلقون إليه من معاصٍ وآثام كان الناس ولا يزالون خطائين ((وخير الخطائين كما قال رسول الله التوابون)) في عصر رسول الله الذي هو النموذج الأسمى لتطبيق الشريعة الإسلامية كان هنالك أناس يرتكبون المحرمات وجد من شرب الخمر فأقيم عليه حد، ووجد من زنا فأقيم عليه حد الزنا ووجد من ارتكب ألواناً من المعاصي، وتم ذلك في حياة رسول الله عليه الصلاة والسلام، أفنقول أن الشريعة الإسلامية إذن استعصت على التطبيق؟ من قال هذا؟

الشريعة تطبق بالمعنى الذي ذكرته لكم الآن فإذا أخذنا هذا المعنى لتطبيق الشريعة الإسلامية واستقصينا عصور التاريخ الإسلامي فلسوف نجد أن الشريعة كانت مطبقة في تاريخ الخلفاء الراشدين وفي عصر الأمويين وفي العصر العباسي وفي الثلث الأول من عصر الخلافة العثمانية لا يستطيع أن يعتلي بهذا أحد ما هي القوانين التي كان يُعمل بها في هذه العصور كلها هل كانت الحكومات الإسلامية في عصر الأمويين أو العباسيين أو من بعدهم هل كانوا يأخذون قوانينهم من الرومان من موسوعة جُستنيان هل كانوا يأخذون قوانينهم من فرنسا أو غيرها كما يأخذ بعض المسلمين اليوم قوانينهم كلنا يعلم الجواب: القوانين التي كانت تحكم هذه البلاد في هذه العصور كلها كانت شرعة الله عز وجل، ولكن الناس مع ذلك وبعد ذلك كانوا ولا يزالون خطائين فهنالكَ من ارتكب المعاصي من الخلفاء وممن كانوا يستوزروهم ومن عامة الناس، فالأخطاء كانت موجودة وإذا أراد أحد أن يضرب مثلاً بفلان من خلفاء بني أمية، وكيف كان يرتكب بعض المعاصي، فلا إشكال في هذا ولا

مفاجأة الناس ما كانوا يوماً ما معصومين حاشى الرسل والأنبياء، ومن أراد أن يضرب المثل بمثلاً هارون الرشيد أو المأمون أو الأمين أو أي خليفة من الخلفاء وأن ينبهنا إلى معاص ارتكبوها فهذه المعاصي لا تكون خدشاً لمعنى تطبيق الشريعة الإسلامية، في المجتمع الخطأ شيء والتخطيط للخطأ شيء آخر وهذا المعنى أظنه واضح جداً ولا يعجز أي من الإخوة المثقفين الموضوعيين أن يدرك هذه الحقيقة.

الجواب الثاني: هذا هو الجواب الأول الجواب الثاني: هو أننا عندما نللمم أخطاء بعض الخلفاء أو كثير منهم في العصر الأموي أو في العصر العباسي مثلاً فإن هنالك من يبالغ في الحديث عن هذه الأخطاء وهنالك من يضخمها تضخيماً كبيراً جداً وهنالك من يعطي أذنه لأعداء التاريخ الإسلامي بكل بلادة وكل غفلة، فيأخذ كل ما يقوله أعداؤنا عن تاريخنا على أنه حق وصدق ثم يعودون بما أخذوا ويصدقون فيه فيجدون أنها أخطاء شنيعة تتعارض مع فكرة أن الشريعة الإسلامية كانت مطبقة، فيقولون إذن هؤلاء الخلفاء كانوا قد خرجوا على الشريعة الإسلامية، ولم يكونوا منضبطين بها ينبغي أن نعلم أن كثيراً مما يقال على الخلفاء الذين جاؤوا بعد الخلفاء الراشدين كذب ووهم، لقد لغى المستشرقون والمبشرون وعبيدهم من المسلمين في بلادنا لغواً كبيراً في الحديث عن الفتنة التي قامت بين سيدنا علي وسيدنا معاوية رضي الله عنهما، وقد طاب لمخترفي الغزو الفكري أن يتخذوا من هذه الفترة من التاريخ الإسلامي ورقة رابحة في تصورههم يلعبون بها وكذبوا وافتروا على التاريخ وحشوا أحداث هذه الفتنة بأنباء لا أصل لها، ولكن المصيبة في مسلمين تلقفوها وأخذوها على أنها حق وصدق تاريخ خلفاء بني أمية كذلك كتب الأجانب عن هذا التاريخ كلاماً طويلاً من الكذب والبهتان فاختلقوا ما لا وجود له وبالغوا في أمور صغيرة ضخموها وعظموها، ولكن المؤسف أن المسلمين التقليديين من عبيد الغرب عادوا فلملموا هذه الأكاذيب، وجعلوا من أنفسهم أبواقاً لترويجها وخلفاء العباسيين وفي مقدمتهم هارون الرشيد رحمه الله تعالى، ما أكثر ما كذبوا عليه وما أكثر ما اعتمدوا على خيال مجنح في تصوير حياته والذين قاموا بهذا هم الكتاب الغربيون ولكن عاد عبيدهم من المسلمين التقليديين فساروا ورائهم أني ساروا ولملموا كلماتهم ووضعوها موضع التقديس من حياتهم، ثم لما جاء بعض الناس يدرسون هذا التاريخ رأوا فيما تصوروا أن هذا الواقع في الشرق والإسلام في مثاليته في الغرب فقالوا: أن الإسلام غير صالح إذن للتطبيق.

أحب أيها الإخوة أن تقارنوا بين كلام كتبه جرجي زيدان عن الفتنة التي قامت بين علي ومعاوية، ومن سار على طريقة جرجي زيدان ثم أن تقرؤوا العواصم من القواسم لأبي بكر بن العري، قارنوا بينهما لتجدوا الكذب العجيب ولتجدوا الزور الذي يُختلق ويلصق بالتاريخ، وأنا أعجب من إنسان يجعل جرجي زيدان معتمده ومرجعه في دراسة التاريخ، أريد أن تقارنوا أيها الإخوة والأخوات بين ما يقوله جرجي زيدان وفيليب حته، وفان فلوتن وأمثال كريم عن هارون الرشيد، أريد أن تقارنوا بين ما يقوله هؤلاء عن هارون الرشيد مثلاً وما يقوله الطبري في كتابه تاريخ الملوك الأمم والملوك عن هارون الرشيد لتجدوا بعد الشقة بل التناقض وإذا وجدنا هذا التناقض فأيهما المعتمد صاحب الدار من أمثال الطبري وابن كثير وابن خلدون؟ أم السارق المتلصص إلى الدار من هو الموثوق؟

أما العقلاء الموضوعيون المتحررون فيعلمون الجواب: صاحب الدار هو المحكم وأما العبيد الأذلاء الذين باعوا ذمهم وعقولهم لسادتهم من الغرب فهم يقولون بملء أشداقهم بل المرجع هل اللص الذي تسلل إلى الدار، أنا لا أستطيع في هذه الجلسة في هذه المحاضرة الأخيرة أن أصلح التاريخ ولكنها مأساة ألقت النظر إليها، الكذب على التاريخ والمأساة التي هي أشد وجود مغفلين يصدقون الكاذبين بدلاً من أن يعتمدوا على التراث الإسلامي الصحيح المبين.

وأنا أضرب لكم مثلاً الطبري يترجم لهارون الرشيد في كتابه التاريخ المشهور المعروف بأنه كان في اليوم يصلي مئتي ركعة ما لم يكن مشغولاً بغزو أو بسفر أو بحج وأنه كان لا يقطع في أمر من الأمور إلا بعد أن يعود فيه إلى علماء المسلمين وأئمتهم وأنه كان شديد التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ومع ذلك فالرجل ليس معصوماً قد يجتهد فيخطئ وقد يغضب فيسفك دماً بدون حق هذا معقول وارد، وأما فيليب حته وجرجي زيدان وأمثاله فما جاؤوا بهذا الكلام قط، لكنهم قالوا إن الرجل كان يتطوح بين دنان الخمر وكانت حياته وقفاً على لذائذه وكان جالساً دائماً بين مجموعات من الحسان عن يمينه وشماله، حتى إن اسم هارون الرشيد بين الناس أصبح مرتبطاً في أذهان كثير من الناس بالخمرة والسكر والعريضة والتقلب في أحضان الحسنات ونحو ذلك هكذا يقول فيليب حته، وهكذا يقول جرجي زيدان، وهكذا يقول أمثالهم، فيا عجباً لمن يقفز فوق الطبري وابن كثير ثم يعانق فيليب حته وأمثاله، أنا والله أيها الإخوة لا يعني أريد أن أقول أنا أعذر هؤلاء الأجانب عندما يكذبون على هارون الرشيد وأمثاله هم معدورون، لكن ما هو عذر هؤلاء الأذلاء من المسلمين هؤلاء الغريبيون أيها السادة عندما ينظرون إلى ترجمة هارون الرشيد إنما ينظرون إلى ترجمة عدو لدود لهم تفيض أفئدتهم

بالأحقاد عليه، لأنه الخليفة الكبير الذي أبلى البلاء العظيم في حرب الروم وفي إخضاع الرومان لحكم الله عز وجل، هم يعرفون منه هذا ولعلكم تعلمون أن هارون الرشيد هو الذي فتح هرقل وكان ذلك بعد أن ماتت إيليني إمبراطورة الروم في حياة هارون الرشيد وخلفها من بعدها نقفور، أرسل نقفور هذا كتاباً إلى هارون الرشيد فيه تعاضم وتكبر عجيبان، يقول: أما بعد فإن التي كانت من قبلي أي إيليني أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها منك مقام البيدق أي الجندي الصغير، فأعطتك من أموال الدولة ما كنت خليقاً بأن تعطيه لها، فإذا جاءك كتابي هذا فأرسل كل الأموال التي أنفذتها إليك وأخذ يتوعده، فكتب إليه هارون الرشيد يقول: من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما ترى لا ما تسمع، وجهز جيشاً في أحلك الظروف وأشدّها في قر الشتاء، وسار به إلى هرقل وحاصرها وسار على طريق مفروشة بالثلوج وحاصرها حتى تغلب وأخضع الرومان للجزية التي كانت قد خضعت لها أيام إيليني واستوثق من الأمر وعاد، وفي الطريق بلغ رجالاً من بطانة هارون الرشيد وقادته أن نقفور نكث العهد فكتبوا الخبر عن هارون الرشيد كي لا يعود بهم مرة أخرى والجو قاس والبرد قارس، ولكن الخبر تسلل إلى أذنه وعلم فعاد مرة أخرى هارون الرشيد إلى هرقل وأخضع مرة ثانية نقفور للعهد ولدفع الجزية كما كان من قبل.

اليوم أيها الإخوة عندما يقرأ أحفاد نقفور ترجمة هارون الرشيد هذه وما فعل بهم هل تتصورون أن تكون النتيجة أن يسبحوا بحمده وأن يثنوا عليه أليس طبيعياً أن يكذبوا عليه وأن يوغروا صدور المسلمين ضده، شيء طبيعي أن يفعل هذا ولكن ليس طبيعياً أبداً أن يقف الإنسان الذي أعزه الله بالإسلام فيخلع رداء العز هذا ويتطامن ويتذلل حتى يجعل نفسه قابلاً في أحذية هؤلاء الغربيين، هذا الشيء الغريب العجيب تاريخنا مشوه لا تصدقوا كل ما تقرأون فتنبوا عليه أن الشريعة غير صالحة للتطبيق والتاريخ لم يرصد إلا جانباً من جوانب تاريخ الأمم الإسلامية، لم يرصد التاريخ وقائع الشعوب وأحوالهم والإسلام وكيف كان يهيمن عليهم في أسواقهم حوانيتهم بيوتهم كل ذلك واقع ومعروف.

دعوني آتكم بمثال آخر للتلاعب بالتاريخ حتى نتحرر من هذا الإلتباع وحتى نجتث هذه الثقة العمياء بالغربيين الذين يكتبون تاريخنا، قرأت منذ سنوات طويلة في كتاب مدرسي لطلاب الإعدادي أظن لطلاب الصف الثامن أو التاسع يذكر فيه مؤلف الكتاب وهو عربي مسلم يقول: لقد بلغ من ترف هارون الرشيد وبذخه أنه كان ينفق على طبق جانبي صغير من المقبلات على مائدته ما لا يقل

عن مئتي درهم، هذا الكلام مكتوب في كتب الإعدادي الذي يدرسه الطلاب الصغار العرب المسلمون، وطبعاً هذا الكلام إذا قرأه هذا الطفل يتقزز ويتخيل مقدار ما كلفته هذه المائدة إذا كان طبق صغير جانبي كما نقول اليوم سلطة يكلف مئتي درهم يعني حوالي تقريباً 500 فرنك نعم فكيف إذن ما هو القدر الذي أنفق على المائدة كلها؟ كيف يكون هذا يعني خليفة يعتز به التاريخ الإسلامي، شيء طبيعي أن تخرج مكانة هارون الرشيد بل التاريخ العباسي كله من قلب هذا الطفل، ولكن تعالوا ننظر إلى أصل هذه القصة ما مصدرها لقد بحثت عنه هذه القصة موجودة في كتاب مروج الذهب للمسعودي، ولكن اسمعوا القصة في مصدرها الحقيقي كيف وقعت وكيف نكسها المجرمون، يقول التاريخ: إن هارون الرشيد نزل ضيفاً في الرقة على خاله المهدي وذات يوم دعاه المهدي إلى طعام العشاء فلما جلس على المائدة نظر فوجد بين الأطباق طبقاً صغيراً فيه قطع لحم صغيرة جداً فقال هارون الرشيد للمهدي: لماذا صغّر طباحك قطع اللحم هكذا؟ كان الطباخ واقفاً قال له يا سيدي: هذه ألسنة أسماك وليس لحماً، فنظر وفكر وقال: فكم سمكة أنفقت على هذا الطبق؟ قال كذا قال فكم أنفقت عليه؟ قال: مئتا درهم فرفع هارون الرشيد يده عن الطعام وقال: والله لن أذوق من طعامك قط، وقال للطباخ قال له: خذ هذا الطبق واخرج به إلى السوق فأعطه أول فقير تراه عينك، وقل له: إن الطبق يساوي فارغاً كذا وكذا حتى لا يشتري منه أحد هذا الطبق بأبخس الأثمان ثم أخرج من جيبه من حر ماله ما يساوي قيمة الطبق وتلك القطع من ألسنة الأسماك، وقال له: وادفع هذا أيضاً له فلقد كنت أنا السبب في هذا البذخ، هذه هي القصة كما نقرأها في التاريخ ولكن المجرمين الذين تجاوزوا حتى ما بلغ إليه مجرموا الحرب جاؤوا إلى هذه القصة فنكسوها جعلوها تنطق بنقيض ما كانت تنطق به هي تنطق بمقدار لا يكاد يصفه الإنسان في منطقته من التزام هارون الرشيد لشكر النعمة ومحاربة البذخ والترف ولكن هؤلاء الكاذبون ولكن هؤلاء الكاذبين أنطقوا هذه القصة بنقيض ذلك.

وأعود فأكرر ما قلت أنا لا أعجب من أن يقول فيليب حته هذا الكلام أو جرجي زيدان هذا الكلام أو كريم أو فان فلوتن أو غوستاف لوبون لأن هؤلاء جميعاً هم أحفاد نقفور هم أحفاد الرومان، وماذا عسى أن يقولوا عن هارون الرشيد الذي أخضع إبليبي في عصرها ثم نقفور في عصره للحزبية وللإسلام كما أمر الله سبحانه وتعالى؟

أنا لا أعجب فالحقد يفعل هذا وأكثر لكن أنا أعجب من هؤلاء الصعاليك أعجب من هؤلاء المسلمين العرب الذين يملكون تاريخاً أغر ويملكون مصادر علمية مباشرة إلى هذا التاريخ كيف يعرضون عن تراثهم الأقدس، ثم إنهم يتقممون الأكاذيب العفنة من أفواه هؤلاء الغربيين، أظن أن في هاتين القصتين بل الحادثتين ما يجتث كل ثقة في أنفسنا من تجاه الغربيين وتجاه سدنتهم وخدامهم الذين يسيرون وراءهم.

فإذا عرفنا ذلك فلتعلموا أن كثيراً مما يُقال عن تاريخ المسلمين تاريخ الخلفاء باطل وكذب ومشوه الإسلام كان مطبقاً في عصر هارون الرشيد ألم يكن أبو يوسف هو مستشار هارون الرشيد؟ ألم يكن مرجعه دائماً في كل شيء؟ ألم يكن يلتزم كل ما يقضي به هذا القاضي المتدين المسلم المؤمن؟ وكذلك كان الإسلام مطبقاً أيام الفتنة وأيام خلافة بني أمية .

لعل فيكم من يقول: والفتنة كيف يمكن أن ننسق بينها وبين تطبيق الشريعة الإسلامية هذه الفتنة ضخمنها أكثر من حقيقتها بما يساوي عشرة على واحد ضخمنها عشر مرات، سيدنا علي كان مجتهداً وكان يرى أنه الخليفة وأنه الذي بويع له بالخلافة ومعاقبة كان مجتهداً وكان يرى أنه الخليفة وأن أمر الشام لا يستتب ولا يستقر إلا إذا كان هو المتابع والمشرف على الأمر، هذا كان مجتهداً وذاك كان مجتهداً ولو دخلنا معهم في حلبة الاجتهاد ربما اتجهنا إلى علي رضي الله عنه وقلنا نحن معه في هذا الاجتهاد لكن هذا لا يغض من قيمة اجتهاد معاوية شروى نقير، أما أن تقول لا كان هذا يريد أن يستغل ما يسميه مصلحة لبقائه على عرش الخلافة، والثاني كان يريد كذا هذا ليس لنا أن نقوله في دار الدنيا الشريعة الإسلامية ميزانها تنظر إلى الظواهر، أما البواطن فإنما يقضي بها رب العالمين يوم القيامة عندما يجتمع الناس ليوم لا ريب فيه، القاعدة تقول نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، ولكن أمثال طه حسين أخذوا ونفخوا في هذه القرية ثم نفخ فيها جرجي زيدان ونفخ فيها من نفخ وأخذوا الأموال التي اشتروا أن يأخذوها على أعداء الإسلام والدين.

هذا هو الجواب الثاني على السؤال الوارد إذن الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق وقد طبقت في هذه العصور كلها لكن أسقطوا مما تتصورونه تطبيق الشريعة الإسلامية مسألة العصمة، ما كان أحد معصوماً هارون الرشيد غير معصوم أبو يوسف غير معصوم الإمام مالك غير معصوم وليس هنالك من يرقى ويصعد فوق النقد والرد إلا صاحب هذا القدر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

بقي جواب ثالث وأخير لا بد أن نقوله: عندما تقولون أيها الإخوة إن في شريعة الله ما لا يصلح للتطبيق في هذا العصر، ما هو المقياس الذي تمسكون به لتقولوا هذا الكلام، الربا لا بد من الخضوع له في هذا العصر وتطبيق النظام الاقتصادي غير صالح في هذا العصر لأنه يحارب الربا هذا ما يقوله بعض منا، طيب ما هو المقياس الذي أمسكتم به فتبين لكم بموجبه أنه لا يمكن التنزه عن الربا من قال هذا من قال إن الذي يقرر صلاحية الشريعة أو عدم صلاحيتها الفطرة الإنسانية الفردية والاجتماعية هو الذي يقرر هذا الأمر، فإن تركنا هذا المقياس فإن المقياس الذي يفرض نفسه بعد ذلك مقياس الرعونات مقياس المصالح والأهواء، أنا إنسان متعشق الخمر مثلاً والعياذ بالله فأنا أدافع عنها وأقول لا يصلح اليوم شرع يقضي بجرمة الخمر، أنا أتعامل بالربا لأنني إنسان تاجر وتجارتي منتشرة شرقاً وغرباً فأنا أدافع عن رأبي إذن الإنسان الذي تجاوز مقياس الفطرة الإنسانية فرداً ومجتمعاً لا بد أن يقع في كنانين مقياس أخرى هي مقياس الرعونات الأهواء.

فلنعد إلى الفطرة الإنسانية الفطرة الإنسانية الاجتماعية متى قالت أن الربا ضربة لازب لا بد منها، ألم تسمعوا كلام الاقتصاديين الغربيين ولا يزالون يكررون ويقولون إن هذا الاقتصاد الذي يتمسك به الغرب اليوم أثبت فشله ولا بد من اكتشاف مذهب اقتصادي آخر يساير حاجة الإنسان وعلاقاته الاجتماعية؟ ألا تسمعون الهمس الذي سيغدو بعد أيام صوتاً عالياً إن شاء الله؟ أن الذي فرض شبكات الربا في المجتمعات الغربية إنما هم اليهود هم الصهاينة؟ ألا تعرفون هذه الحقيقة ألا تعرفون كيف نبعت هذه البنوك الربوية؟ وما هو البنك البنك إنما أصله يعني طاولة موضوعة في طريق بكل بساطة يجلس وراءها يهودياً فيأخذ الودائع ويقي هذه الودائع عنده، وظهر له أنها تبقى عنده مدة طويلة فأراد أن يستغلها وأخذ يعطيها لآخرين بفوائد، وهكذا حتى تسلل أخطبوط الصهيونية إلى المرافق الاقتصادية المختلفة، كيف هذا ألم تسمعوا مدى ما حققته البنوك اللا ربوية وهي حديثة الولادة من نجاح؟ ألم تسمعوا بتجربة أحمد عبد العزيز النجار الدكتور عبد العزيز النجار في القاهرة وتجربة البنوك ميت غمر؟ ألم تسمعوا يوم جاء بعض الاقتصاديين الألمان إلى مصر ليدرسوا نظرية أحمد عبد العزيز النجار وهو ليس صاحب نظرية هو دلال على بضاعة الله عز وجل، هو ليس صاحب نظرية ألم تسمعوا أبناء هذا النجاح كله؟ ألم تسمعوا أخيراً أبناء نجاح هذا الشركات الإستثمارية الإسلامية التي فرضت لنفسها سلطاناً في مصر وهددت البنوك الربوية؟ ثم إن إشارة من اليهود عبر

إشارة من نيويورك أوجت إلى الخدم والسدنة في القاهرة بأن يقفوا في وجه هذا الخطر الداهم على البنوك الربوية .

من قال أيها الإخوة المال علمياً لا يلد المال المال قيمة والمقوّم المنفعة كلما قذفت منفعة إلى المجتمع تغطيها بقيمة هذا هو شرع الله وشرع الله عز وجل ما حرّم شيئاً نتماً إلا ووضوح في مكانه شيئاً طاهراً فالله الذي حرم الربا لثباته أحل القراض أحل عقد المضاربة أن أعطيك مالي وأنا عاجز عن الحركة والنشاط التجاري فتشتغل بمالي وتنفع به المسلمين من عباد الله وتعطيني جزءاً من الربح إن ربح المال لا على أساس أن ألاحقك بالفوائد الربوية على المال ربح المال أم لم يربح هذا مثل أضربه عن الربا وكل ما يقاس وكل أمور الشريعة الإسلامية كذلك.

شريعة الله تقول إن المرأة ينبغي أن تتحجب وفي الناس من يقولون إن هذا لا يتفق مع مصالح الناس اليوم لأن المرأة الآن تشترك مع الرجل في المعمل وفي المؤسسات ووو وإلى آخره، وهي لا تستطيع أن تنشط نشاطها هذا وقد حملت نفسها أثقال الحجاب، أولاً الكلام فيه نوع من الدراما الخيالية الكاذبة ثانياً هذا من حيث الموضوع افتأت على الحقيقة الشريعة الإسلامية فرضت الحجاب على المرأة وهي تراعي فطرة المرأة وفطرة الرجل الشريعة الإسلامية ثوب سابغ للفطرة لماذا يثقل الحجاب المرأة إن وجدت في معمل لتوجد إن وجدت في وظيفة لتوجد إن وجدت في جامعة لتوجد إن وجدت في ثغرة من ثغور الجهاد لتوجد على أن تنضبط بشريعة الله عز وجل وتمسك بأداب الإسلام متى وفي أي تاريخ أثقلها حجابها في تاريخنا الإسلامي المرأة اشتركت في الحروب وأصعب ما يمكن أن نتصور اجتماعاً بين شيء وحجاب هو الحق ومع ذلك فلقد كانت المرأة وهي تحارب وهي تحمل السلاح وهي تنطلق من مكان إلى مكان كراً وراً كانت محجبة بحجابها الإسلامي أدق ما يكون الاحتجاب الإسلام لا يفرض لا على المرأة ولا على الرجل ما يكون عثرة في طريقهما إلى تحقيق مصالحهما الحقيقية، هذا غير وارد بشكل من الأشكال ولكن أعود فأقول لكم من الذي يقول إن الحجاب لا يتفق مع واقع الناس في هذا اليوم، أصحاب الرعونات والأهواء، أصحاب المصالح الشهوانية لا المصالح الحقيقية فلان من الناس موظف في مكتب لا يستطيع أن يؤنس نفسه ويمارس عمله إلا إذا رأى حسناً تجلس عن يساره وأخرى عن يمينه، يغازل هذه ويغازل تلك ثم يخرج فيصادق هذه ويصادق تلك، وينظر إلى ما سيقرره الشرع إذن سيصبح محروماً من هذا وسيعود إلى

مكتبه في الغد وهو مقفر موحش عن متعته التي يهواها فيدافع عن رعونته باسم المصلحة الإنسانية وباسم الحق.

لا أريد أن أطيل في هذا الموضوع ولكن أقول لكم كلمتين أخيرتين الكلمة الأولى: ما أجمع عليه علماء الشريعة الإسلامية من أن الشريعة الإسلامية خير كلها ومصلحة كلها ورشد كلها، وأقول ما يقوله العز بن عبد السلام سلطان العلماء في عصره رحمه الله تعالى في أوائل كتابه العظيم قواعد الأحكام في مصالح الأنام يقول: انظر حيثما سمعت قول الله عز وجل **(يا أيها الذين آمنوا) فأصغ السمع جيداً إلى ما بعد هذا النداء فإنه لا يأمرك إلا بخير ولا ينهك إلا عن شر، وإنه إما أن يأمرك بخير وإما أن ينهك عن شر ولكن الإنسان قد لا يعلم والله يقول (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم).**

والأمر الثاني الذي أحتّم به كلامي هذا عن تطبيق الشريعة الإسلامية هو التالي الإنسان أحد رجلين الذي يُدعى إلى تطبيق شرع الله أحد رجلين فإما أن يكون غير مؤمن بالله عز وجل أو مؤمناً بالله إيماناً حقيقياً إن كان غير مؤمن بالله عز وجل فأنا أقول سلفاً هو منطقي مع نفسه عندما يقول الشريعة الإسلامية غير صالحة للتطبيق في هذا العصر ذلك لأنه يتصور أن هذه الشريعة من وضع البشر من وضع محمد عليه الصلاة والسلام من وضع أحد الصحابة أو من وضع جستنيان وسرق الرسول هذا التشريع من موسوعة جستنيان كما يهوى البعض أن يقولوا فإذا كان هذا الإنسان يتصور الأمر كذلك فمن حقه أن يقول هذا الشرع لم يعد صالحاً في عصرنا اليوم لأنه رأى أن الشرائع كلها التي يضعها الناس يضعونها بناء على دراسات بيئية معينة وبناء على واقع عصر معين هذه الشريعة وهذا القانون الذي رسموه إنما هو انعكاس وزبدة لحاجة بيئية خاصة وعصر معين فإذا تجاوز الناس تلك البيئة وانطوى ذلك العصر وجاء عصر آخر فإن الدنيا تتطور ولا شك أن ظروفها أخرى جدّت إذن من الطبيعي أن يقول إن ذلك الشرع القديم لم يعد صالحاً وآية الكلام أن القوانين الوضعية لا تكاد تعيش أكثر من قرنين من الزمن القانون يوضع اليوم وبعد حين تجد فيه ثغرات يرقع القانون باستدراكات بعد قليل تظهر فيه ثغرات أخرى يرقع مرة ثانية بعد قليل تظهر فيه ثغرات ثالثة يرقع وهكذا فما يمضي قرن أو قرن ونيف إلا وتجد هذا القانون قد تمزّق وطوي فجيء بغيره وهذا هو شأن ضعف الإنسان من الذي يستطيع أن يتخيل الأجيال الآتية كلها على اختلاف فئات الناس واختلاف الحضارات ثم يأتي بفرع يكون مثل الثوب السابغ للجميع لا يستطيع بشر أن يفعل هذا

فمن كان يتصور أن الله غير موجود وأن الشريعة الإسلامية شريعة وضعها عرب الجزيرة العربية فقولوا له: من حقا يا أخي أن تتصور الأمر هكذا ولكن تعال بنا نمضي معك إلى ينبوع المسألة وإلى أول الطريق فأنت مغفل ليس في عدم إدراكك لهذه النقطة ولكنك مغفل إذ قفزت فوق مسألة وجود الله وظننت نفسك في عالم لا صانع له ولا خالق ولا سيد حدثه عن الله وعن وجود الله عز وجل ولذلك فأنا أدعو دائماً إخواني الشباب الذين يشتغلون بالدعوة الإسلامية أن لا ينقذوا رأساً إلى الدعوة إلى تطبيق الشريعة لأنهم لا يعلمون أنهم يدعون أناساً أمشاجاً من الناس أكثرهم غير مؤمن بالله وكثير منهم إيمانه تقليدي يحتاج إلى دعم وتغذية من الذي يوافقك على ما تقول عندنا في المشرق وفي كثير من الأصقاع الشباب رأساً إذا أراد أن يخطوا الخطوة الأولى إلى الإسلام طمح ببصره إلى قمة الحكم ودعا إلى تطبيق الإسلام على من تطبق الإسلام على أناس يعوزهم أن يؤمنوا بوجود المشرع كيف هذا ابدأ دعوتك هذه بمثل هذه المحاضرات التي ألقيناها خاطب الناس خاطب عقولهم وأيقظهم إلى هوياتهم أنهم عبيد لله عز وجل فإن أنت نجحت في غرس الإيمان في العقول ثم في تحويله صبغة إلى القلوب فإنك تستطيع أن لا أقول تناقشهم في صلاح الشريعة الإسلامية بل إنهم سيكفونك هذه المؤونة إذا قلت لهم تعالوا أنبئكم عن دليل على صلاحية الشريعة الإسلامية سيقول لك كل منهم لا داعي إلى هذا فقد آمنت بالله إذن آمنت بأن الله حكيم وآمنت بأن الله لا يشرع إلا ما فيه الخير والصلاح للمسلمين فكل من آمن بالله عز وجل خالق به أن يؤمن لصلاحية هذه الشريعة الإسلامية وتحضري هنا حادثة منذ سنوات زاروا لدي في المنزل ثلثة من الأجانب الغربيين فيهم أمريكيان وألمان وفرنسيون وجلسنا نتحدث قال واحد منهم لماذا حجب الإسلام عن المرأة رئاسة الدولة وأخذت أجيابه واستعنت بكل ما أعلم من أدلة علم النفس والفرق بين طبيعة الرجل والمرأة والمهام الشاقة التي لا بد أن تتحملها المرأة وأطلت وفصّلت ودمت يمكن حوالي ربع ساعة وأنا أتكلم في هذا الموضوع ولما انتهيت وظننت أنني قد نجحت في إقناع الرجل قال لي وهو يهز رأسه قال كل هذا الكلام بوسعي أن أناقشك فيه ولكن الذي يلجمني شيء واحد والذي يقنعني في هذا الصدد شيء واحد يقيني بأن الذي شرع هذا هو الله فأنا قد آمنت بالله وعرفت أن هذا الحكم آت من عند الله فلا حاجة إطلاقاً أن أعلم تحليلاً لخلفية طبيعة المرأة أو تحليلاً لخلفية طبيعة الرجل أما وقد عرفت أن الله هو المشرع فإن هذا يكفيني مؤونة أن أوجع رأسي بهذا الموضوع عندما قال هذا الكلام عدت إلى رشدي ورأيتني ضئيلاً صغيراً أمام جوابه المختصر وقلت يا ليتني طويت كل هذا الكلام الذي قلته منذ ذلك اليوم

أخذت من ذلك الحوار عبرة إذا ضمني مجلس نقاش مع أناس يتكلمون عن شريعة الإسلام وصلاحياتها وما إلى ذلك لا أبدأ بالنقاش حتى أستوثق من أن هؤلاء الإخوة مؤمنون بالله حقاً موقنون بوجود الله حقاً إذا عرفت هذا أدركت أن الخطب يسير والنهاية إلى النجاح قريبة ولكن إذا رأيت أن هؤلاء الإخوة يعوزهم الإيمان بالله لا يمكن أن نتكلم في هذا الصدد قط إذن هذه هي الزبدة الأولى والأخيرة من معرفتنا لحقائق العقيدة الإسلامية.

وفي كلمات موجزة أختتم بها محاضراتي هذه أيها الإخوة والأخوات أقول إن العقيدة الإسلامية حقيقة قائمة على دعائم العلم وما أعرف قدسية لشيء أكثر من العلم فمن جنح عن الإسلام فقد جنح عن سبيل العلم ومحاضراتنا التي سلفت دليل على ذلك الشيء الثاني أن اصطباغ العقل بالعقيدة الإسلامية بالمنهج العلمي الراسخ يولي الإنسان هويته ويجعله يقف أمام مرآة ذاته بعد طول تيه وبعد طول شرود مرآة هويتك يا أخي أن تقف أمام حقائق العقيدة الإسلامية فإذا جلوتها أمامك ببصيرة نافذة رأيت هويتك في هذه المرآة عبد الله عز وجل ورأيت من خلال هذه الهوية معنى كلام الله عز وجل **(إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عدداً وكلهم آتية يوم القيامة فرداً)** فإذا عرفت هويتك عبداً لله عز وجل كانت الخطوة التي تليها الخضوع لسلطان الله سبحانه وتعالى الخضوع لأمر الله عز وجل تحلل ما حلل تحرم ما حرّم تخضع نفسك لما أوجب فإن عصيت وانزلت بك قدم شدتك عبوديتك إلى صعيد الأمن بل إلى حصن حصين من رحمة الله عز وجل وفضله لا تعود المعصية خطراً على إنسان عرف هويته واستمسك بمعنى عبوديته لله عز وجل وهذا معنى قول الله خطاباً لإبليس وقد آل على نفسه أن يضل عباده قال **(هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين)** ومعنى عبادي أي من تحققوا بمعنى العبودية لي فإن عصا استغفر الله فلن تضره معصية وإن سار على رشده عانق شرع الله وأوامره والنتيجة التي تلي هذا وذاك أيها الإخوة أن هذا الإنسان يملك ناصية السرور في قلبه ويملك ينبوع الفرحة في كيانه فلا يدنو إليه كرب ولا يدنو إليه غم ولا يذهب ضحية أمراض الكآبة ولا شيء من هذا القبيل لأنه قد وصل نسبه بالله عز وجل بل هو دائماً يعيش مرفوع الرأس عزيزاً لا سيما عندما يرى ويسمع ويتفاعل مع قول الله عز وجل **(ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم)** مولانا ربنا نحن لسنا مشردين في صحراء الضياع نحن لسنا تائهين مولانا يرعانا ويلاحقنا والخير ممدود النسب منه إلينا فماذا تريدون بعد هذا من سعادة أيها الإخوة تريدون النهاية بعد الموت السعادة

الحقيقية تنتظرنا أيضاً هناك أختم محاضراتنا هذه ولقاءاتنا هذه معكم أيها الإخوة والأخوات بدعاء واجف أرجو أن يكون نابغاً من الأعماق وأرجو من كل أخ وأخت يشاهدنا أن يرفع يديه مؤمناً على هذا الدعاء فالله سبحانه وتعالى كريم ومعطاء.

دعاء

اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلى اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيراً مما نقول اللهم لك صلاتنا ولك نسكنا ولك محيانا ومماتنا وإليك النشور اللهم صلي وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد النبي الأمي الطيب الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وأزواجه كما صليت على سيدنا إبراهيم وآل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد اللهم اجمعنا عليك وفرقنا عليك ولا تجعل حوائجنا إلا إليك اللهم أنر قلوبنا بنور معرفتك اللهم زكي نفوسنا بنور من عندك يا رب العالمين اللهم أدخل إلى قلوبنا سر سعادة الإيمان بك يا أكرم الأكرمين اللهم اجعلنا من الشاكرين لنعمك والمثنين عليها وأتمها علينا يا أرحم الراحمين اللهم ارزقنا صدق التوكل عليك وارزقنا كمال التفويض إليك وارزقنا كمال التوكل عليك واجعلنا بفضلك وكرمك ورحمتك من عبادك الذين أحببتهم فأحبوك يا رب العالمين اللهم نسألك أن ترزقنا كمال الإخلاص لوجهك وأن ترزقنا كمال الإخلاص لدينك وأن ترزقنا كمال المحبة لك وأن ترزقنا كمال العبودية لك وأن ترزقنا كمال المخافة منك وأن ترزقنا كمال الدعوة إلى دينك الحنيف وأن تشرفنا بالسير على صراطك المستقيم يا أرحم الراحمين اللهم، تولنا وعبادك المسلمين في سائر بلاد الإسلام وغير بلاد الإسلام بعين عنايتك وبأتم رعايتك وأبدل عسر هذه الأمة يسراً عاجلاً غير آجل وفرج الكرب عن المكروبين ونفس الهم عن المهمومين وأحسن اللهم خلاص المسجونين وردنا جميعاً إلى دينك يا رب العالمين آمين آمين آمين والحمد لله رب العالمين والحمد لله رب العالمين.